بالتقليب تكاثر

﴿ السوريون في اميركا ﴾

ملخص خطاب الاديب الفاضل الدكتور الياس افندي مسلم كاتم اسرار جمعية طليعة الادب

لحياة كل امة ادوار شبيهة بادوار حياة كل حيّ فالولد يدب ثم يشب ثم يصير كهلا ثم شيخا ثم هرما ثم يفارق هذه الحياة عن ولد يجرون مجراه ويتأسلونه متخلقين باخلاقه وكذا الامة فانها تتقلب في ادوار الضعف والقوة والجهل والعلم والعسر واليسر والخضوع والسؤدد والعبودية والحرية ملزمة في كل دور بحال وفي كل حال بشأن لا تتخطاه ولا تتعداه. وصلاح حال المرء كصلاح حال الامة نسبي الى طيب الاصل ومواقفة الاحوال اي ان مكانة كل امة وما تبلغه من المقام في العمران والمدنية متوقف على اصل تلك الامة وما يحيط بها من اسباب التقدم او ما يعتورها من المواقفات والمغايرات. والسوريون في اميركا ليسوا الا سلالة الاصل الاثيل وابناء الاولى وضعوا اساسات الدين والتمدن واوجدوا قواعد العلوم والصناعة واخترعوا اساليب المتاجر والفنون وكانوا اول من خاض البحار وسير فيها السفائن فقربوا الصلات بينهم وبين اجزاء المسكونة وحملوا اليها التمدن وكثيرا من نفائس صادرات سوريا ومصنوعاتها البديعة وعادوا منها بالغنائم الكبرى والكنوز الثمينة. اما بلادنا السورية فهي شامة في وجنة الكون وجنة يصدق عليها وصف جنة الخلد جوها صاف وتربتها خصيبة ومياهها كوثر وهواؤها ينعش النفس. أليست هي "ارض الموعد" "ولؤلؤة الشرق" التي يقل في وصف محاسنها الكلام وتقصر عن تبيانه رؤوس الاقلام. أليست هي مهبط الوحي ومصدر الحكمة وام العمران التي مع انها بقعة صغيرة من الارض لا تزيد عن ٤٠٠ ميل طولا و٧٥ عرضا كانت ولم تزل مطمح ابصار الامم ومكة آمالهم. أقول هذا وانا في غنى عن اثباته بدليل لانه مدوّن في تواريخ العالم ولا ينكره عليّ عارف. ولقائل — ان السوريين الان في مؤخرة العالم علما وتمدنا وان المشهور عنهم من ضعف العزيمة وتفرق الكلمة لا يشف عن أثالة اصل ولا عن طيب محتد بل ان اصلهم اما منسيّ واما مجهول لانك تراهم تارة ينسبون الى العرب وطورا الى الاشوريين ومرة الى الاتراك واخرى الى الارمن فهل جفّ دم السوري القديم ام فسد على مرّ الايام او كان هذا التغيير والانقلاب مخالفاً لسنة الدهر في ابنائه. — قل كلا لعمري فانما ما نال الامة السورية من انخفاض المنزلة وضيق ذات اليد والتقهقر الى الوراء ليس باكثر مما نال غيرها من الامم بل انا نحن المعذورون وغيرنا الملام ولو ناب امة غيرنا ما نابنا من توالي الحروب وتعاقب البلاء لاندثرت تلك الامة عن بكرة ابيها بحيث لم يبق لها ذكر يذكر ولا عمل يشكر وما اصدق ما قاله العلامة ابن خلدون في هذا الصدد "ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء والسبب في ذلك ما يحصل في النفوس من التكاسل اذا ملك امرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الامل ويضعف التناسل. والاعتبار انما هو جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانيه فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالقلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعيهم وعجزوا عن المدافعة عن انفسهم بما خضد القلب من شوكتهم فاصبحوا معابين لكل متغلب وطعمة لكل آكل" اه.

ونحن السوريون قد ضربت علينا الذلة مئات بل الوفا من السنين تحملنا في اثنائها جور الاشوريين وقسوة مادي وفارس وظلم الفراعنة ثم اذا ما استقلينا مدة يسيرة دهمنا المكدونيون ثم الرومان ثم العرب ثم التتر ثم الاتراك العثمانيون فصرنا من تقلبات الدول ممتزجين من اجناس كثيرة ومتشعبين في اديان مختلفة فضعف منا الامل ووهنت العصبية ومع ذلك كله فانه لم يمرّ بنا زمن الا

ظهر فينا من الابطال والعلماء والشعراء والفقهاء ممن يشهد بفضلهم التاريخ. ومن قادة الدين والتمدن من يجلهم الذين في مقدمة العمران ولا ينكرهم علينا اميركي او اوربي — ألم يكن قواد الدين المسيحي من فلاحي سوريا وصيادي اسماكها الذين كانوا ولم يزالوا للعالم بركة ولوطننا فخرا لا تفنيه عوادي الزمان ولا تغيره طوارق الحدثان وما احلى ما قيل فيهم

اسلافنا منذ القديم تعلموا
نهج العلوم وعلموه الناسا
كانوا اذا هدموا بنوا واذا بنوا
لا يهدمون لما بنوه اساسا
واذا اتوا سبل الهداية في الورى
جعلوا لها نار الحجى نبراسا

هذا وقد ابت الحوادث الا ان تثبت لنا وجودا وطنيا وأصلا اثيلا وفضلا عاما وان كان لم يزل بيننا من يحمل الاميركيين على ايلام اسماعنا بما ينسبونه الينا من همجية المعيشة وتعود الهوان فلينتبه هؤلاء وليعلم اهل الغرب اجمع بانهم قد تعودوا مثل هذا الحيف اعصارا بل ان العالم باسره كان احرارا يظلمون وعبيدا يطيعون الى ان اتاح الله لهم ما غير تلك الحالى. وهؤلاء الستوريون ما وطئوا ارض العالم الجديد وتنشقوا نسيم الحرية وزال الضغط عن عقولهم حتى اخذ ظل تكاسلهم يتقلص وصبح اجتهادهم يتبلج. وما ورثوه عن اسلافهم من الذكاء والدهاء والحكمة والفضل والشهامة وكرم الطباع وكان لم يزل مكبلا بقيود الاحوال برز من كمونه بروز الزهر من الكمام والشمس من خلال الغمام فهب السوريون من سنة الغفلة وحركوا ركاب العزيمة وحثوا جياد الفكرة واطلقوا اعنة الهمم واخذوا في مباراة اهل هذه البلاد في ميادين التقدم والفلاح واظهروا للعالم مكانتهم واهليتهم حتى لم يعد بالوسع انكارهما عليهم. كيف لا وقد ام هذه البلاد من السوريين اقلهم علما واخفضهم مقاما ودخلوها فارغي الجيوب جاهلي اللغة بحال لا يؤمل معها تقدم ولا يرجى نجاح ففازوا فوز العارف ونجحوا نجاح الخبير حتى انه من الثلثين الف سوري المتفرقين في الولايات المتحدة يكاد لا يوجد واحد عالة على اهلها بل جميعهم يشتغلون ويحترفون مبتدئين بالحرف القريبة المنال ومتدرجين منها الى التجارة والعلوم والصناعة والفنون. اما في التجارة فمحالنا العديدة تشهد بما للسوريين من الخبرة وطول الباع وصدق المعاملة مع الصيارفة والتجار الاميركيين الذين يتسابقون الى التعامل معهم. اما في العلم فقد نبغ بيننا منشئو الجرائد العربية فانشأوا في اثناء اقامتنا القريبة العهد ثلاث جرائد يومية ونصف اسبوعية واسبوعية. وكلها جزيلة الفوائد جرة اللهجة. وثلاثون سوريا قد تلقوا في الطب والجراحة في كليات هذه البلاد فنالوا شهاداتها وكان اكثرهم من الممتازين على ابناء اللغة الانكليزية. والطلبة الذين لم يزالوا الان في مدارس هذه البلاد جميعهم موضوع ثناء المعلمين.

اما كرم الطباع والسخاء فقد اظهرهما السوريون وشهدت لهم بهما جرائد هذه البلاد في حينه فان المبلغ الذي جمعه السوريون ابان الضيق في مدينتي نيويرك وسانت لويس لاسعاف المنكودي الحظ كان بالنسبة الى عددهم اليسير اكثر مما جمعته امة واحدة من سائر الامم الاجنبية. واما الاقدام الذي اظهره السوريون الذين اسعدهم الحظ بالانتظام في الجندية الاميركية مؤخرا فقد دل حقيقة على اثالة المحتد وطيب الفرع. هذا ولست ادعي اننا نحن السوريين بلغنا الان ما يجب ولكنني اشكر الله اننا بلغنا ما يمكن واننا لم نزل عالمين بحاجتنا الى اصلاح العدد اليسير منا الذين لم تزل غيوم سيئاتهم تحجب انوار حسناتنا عن اعين الاميركيين ولذلك أنشئت بيننا الجمعيات المفيدة واخصها جمعية طلعة الادب التي مع حداثة نشأتها قد ظهر فضلها في تأليف القلوب وتوحيد الكلمة ورفع شأن العلم والادب وسيعلم الاميركيون ان نزلاءهم السوريين سيكونون من افضل رعايا هذه الجمهورية واكثرهم اقداما واوفاهم مروءة واشدهم عزما واكرمهم طباعا واحرصهم على التقدم والنجاح.

واذا رأيت من الهلال نموه
ايقنت ان سيصير بدرا كاملا